

بقلم: سفیان

# مشهد

تقسیم: سفیان

بقلم: سفيان

سفيان

قصة مشهد

الكاتب: سفيان لكريسي

تصميم الغلاف: سفيان لكريسي

## مقدمة

تخيل نفسك آخر الشهود.. تسترجع الماضي ويقتلع الرعب قلبك  
بينما تروي كل ما حصل  
كيف يختنق الحزن في رحم الظلام  
وكيف تنتهي الحياة بابتسامة تائرة.. في مشهد واحد

## القصة:

انقلب الظلام فجأة وعكس صفوه ذرات نور مبعثرة تقترب مضطربة عبر شباك الغرفة المطل على الفناء.. تحرك النور مسرعا ينقض على ظلام الليل يهلكه شيئا فشيئا ومعه صخب مقبلٌ نحى الصمت وسكينة الليل جانبا ليُخرج النائمين من غفوة بالكاد نعموا بها، من حلم هادئ كان يداعب خيالهم كالنسيم. كان الضوء يقترب مسرعا يتسلل عبر شباك الغرفة يشوش ظلمة الليل، بينما أزيز محرك سيارة توقفت توا على مقربة من بابهم حركت فيهم جانبا مظلما لم يكونوا يرجون حدوثه، فتحت الأبواب وسمع صداها يهز الليل رعبا، تلاه صوت أقدام يدب الأرض يهزها ويهز صدورهم خوفا...

دقات الباب اقتلعت قلبه من صدره... جمدت العروق وأحرقت فتات الهمة بداخلهم جميعا.. التموا حوله واحتضنهم محاولا مواساتهم...محاولا طمأننتهم بصوت يدعي به الأمل والشجاعة: لا تقلقوا.. ولكن زوارهم مستعجلون.. كُسر باب الغرفة الخشبي بضربة واحدة

ليفتح معه أبواب الجحيم. كأن لون الليل تغير هذه المرة وغطاه حقد دفين... بدأت أقدام تلوث أرضهم تقترب منهم شيئاً فشيئاً، وهم كأوراق الخريف تساقطت دموعهم وذبلت ملامحهم؛ هزهم الموقف.. بدأت أنوار الكشافات تكسر ظلمة الغرفة بعنف تحجب طهارة ضوء القمر تعمي عيونهم... تخرجهم من حال إلى حال.. ظهرت أمام الزوج أقدام اشباح أمرة بصوت مزعج: قفوا... ! كأنما امتلكوا الأرض ومن عليها، كأنما امتلكوا الحق وصاروا خليفة الله في أرض ليست لهم...

كمن هوى في عتمة الليل داخل بحر عميق نطق بصوت يغطيه الخوف يكسره ذل الضعف الذي حل به؛ نطق الزوج: أرجوك سيدي نحن لا نملك شيئاً

نظر إليه بابتسامة من ينوي الشر بلا قيود بكل محرماته: أنت تملك كل شيء... كخنجر يطعن شرفه، ينتهك حرمة، مد يده فاتحا كفه وبدأ يتحسس وجه ابنة الرجل يلامس شفيتها بإصبعه يشدها برفق تارة، ويعنف تارة أخرى.. شفة لم تنطق حرفاً بوجوده.. مكمل كلامه وتلك الابتسامة مازالت تطبع الشر على وجهه الكريه، ومعها تذيب مرارة الضعف في كل خلايا الزوج؛ أحس بتشنج كأنما الدم تسمم في عروقه،

كانت نواياهم تأخذه بعيدا وتعيده؛ تنقله بين أفكار عديدة أولها ضعف وآخرها انهزام وهو كالضرب تائه بينها..

كل هذه الثروة وتدعي الفقر قال الكريه.. بحركة بإصبعه مشيرا لجنديين يرافقانه انقضوا على الزوج كأشباح خلقت توأ من عدم، أمسكوه بإحكام.. وهو يحاول بصوت هذبه هول الموقف شوشته حرقتة باكيا، بصوت بعثرت حروفه، بصوت يخنقه الألم وتجرحه أحزان تطبق على صدره العليل طالبا الرحمة: أرجوك سيدي...

كان صوتا لم يخرج من فمه، كأن شيئا لم يكن، كأنهم ليسوا بأرضهم وليسوا بشر.. سحب القائد الطفل الصغير من حضن والدته يرتعش جسده الهزيل بين يديه وأشار مجددا بإصبعه ليأتي الجندي الذي وقف حارسا على باب الغرفة ممسكا الطفل.. ليخلي الجو لقائدهم.. ويخلي الصورة من إطارها الذي أوجد ليحميها من كل قذارة...

على حاله مازال مبتسما تلمع عينيه.. ببطيء فتح فمه مبتسما بغرور كأنما امتلك سر الحياة، كأن الكون صار بقبضة يده.. بدأ يخلع رداءه الأخضر الذي بدى

داكنا اسوداً، من حقارة أفعاله وليس من ظلمة الليل.  
بدأ ينظر بلذة للاثنتين مقتربا رافعا يديه كمن  
انتصر في حربه. بعدما خلع كل ما كان يلبسه وخلع  
قناع الشرفاء وكل معاني الأدب.. اقترب أكثر وأكثر  
بخطوات بطيئة واثقة، انحنى أمامها والبنّت مُطأطة  
رأسها، نطق بصوت خافت على مقربة من أدنيهما  
صوت كضحك أفعى:

- إن اعتراضكم، إن قاومتكم، ساندعوا عليهما  
بالرحمة.. واعدراني لن أدعوا معكم فالهي لا  
يقبل الدعاء..

ثم بحركة خاطفة التف صارخا:

- من يتحرك زفوه لأرض البقاء.. دعونا نعجل  
لقائه بربه

وضحك هازئا وبعدها بصوت هادئ قال وهو ينظر بلذة  
للبنّت:

- فلندع اليوم يمضي كأنه حلم جميل، ألا  
تحلمين بيوم كهذا..

وبدأ يضحك هذه المرة بصوت أعلى، وتبعه الجنود  
بضحكات بغیضة أيقظت رجولة طفل في الخامسة من



عمره؛ كان جسده الهزيل ينتفض خوفا يهتز من داخله؛ بركان يغلي من الغضب... انتهز الفرصة وعضّ الجندي في يده وراح يجري محاولاً صيانة شرف امرأة خرج من صلبها، باكيا يصرخ اتركو... لم يكمل الكلمة!

رصاصه غطا على صوتها صراخ أمه وأخته؛ تخترق رأسه تطرحه أرضاً.. سالت دماء نقية تغسل الأرض من أثر أقدام دنستها ومعها حزن مكتوم يحرق ما بقي من كرامة بصدر والده، بنيان زلزلت أركانه وسقط؛ لم يره فالدموع كانت تسير كمجرى النهر حجبت الرؤية عنه، سمع صوته، سمع أنته الأخيرة، سمع جسده وهو يتهاوى أرضاً يهز عرش السماء وكل عروش الأرض الصامتة.. موته أحرق ما تبقى بداخل الزوج حاول الحراك بلا حيلة، بكل قوته حاول جاهداً.. بكل قوته حاول أن ينتفض، ولكن الحزن كتم صوته والعمر حكم عليه بالضعف، والمرض كسر رجولة كان يأمل أن تكون الآن. فلا وقت للرجولة غير الآن... الأوغاد يمسه بآحكام.. وضعف العمر يكسره.. يمنعه الحراك.. والحزن يطفئ كل ذرة أمل...

يسمع أنين ابنته وزوجته، يسمع أصواتا لا يطرب لها إلا شيطان رجيم، يعرف معناها جيدا، أصوات تحرق الدمعة التي تسيل في عيونه، تحرق الدم في عروقه مليون مرة تجعل دقات قلبه أقوى من كل هزات الأرض مجتمعة... مر العمر في لحظة لا نعرف كم دامت، حتى فرغ الذئب المتلذذ من سـفك دمـاء نـقية وأكل لحمٍ ظاهر.. فرغ من متعة فانية جاء لأجلها...

تركها ودموعها تغسل دمـاء عذريتها، والروح تستنجد بالله طالبتاً الرحيل تزف أحلاما إلى متواها الأخير وتذرف دمعاً دافئاً يسقي أرضاً لم تعد صالحة للخيال... ووالدتها ملقاة بجانبها لا تقوى على الحراك من ذل ما حصل، من حزنٍ اشتد أوقف تفكيرها، أخرجها عن وعيها... من دمـاء نـزفت في قلبها قتلت الحياة في صباحها..

بقي الزوج واقفاً زمناً لا يدرك مدته وفجأة انهار بنيانه مستسلماً بلا حيلة.. صاحت الروح أنينا وهي تخرج باكية لخالقها تدعوه إسكان الصبر على صدور أسرته التي احترقت... راح ليحرس روح طفله الصغير، مات حزناً تاركاً وراءه قلوباً تدق بشقاء في جسد تعرى من الأمل وغطته الدماء... ساد الصمت

الغرفة ولكن الحياة مستمرة والحزن طبع بداخل  
الجميع إلى يوم الرحيل؛ يوم تبتلع الأرض دماء أهلها  
وتعود كما كانت.. ساد الصمت الذي عكسه صوت بيادة  
سعيدة تنقر الأرض راحلة ببطء لأرض جديدة..  
وتسدل الستار على مشهد واحد دام عمرا بأكمله..  
وما زالت الأرض مبتلة بدمائه...

تمت

بحمد الله